Dirasat: Human and Social Sciences, Volume 51, No. 6, Supplement 1, 2024

Deanship of Scientific Research

King Hussein and Federal Germany

Abdul Majeed Zaid Al-Shanaq*

History Department, Faculty of Arts, University of Jordan, Amman, Jordan.

Received: 12/6/2021
Revised: 17/7/2021
Accepted: 25/1/2022
Published: 15/12/2024

* *Corresponding author:*
abdelshannag@ju.edu.jo

Citation: Al-Shanaq, A. M. Z. (2024). King Hussein and Federal Germany. *Dirasat: Human and Social Sciences*, 51(6), 233–246. https://doi.org/10.35516/hum.v51i6.9806

© 2024 DSR Publishers/ The University of Jordan.

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

Abstract

Objectives: The study aimed to clarify the role that King Hussein played after assuming his constitutional powers on May 2, 1953 AD, which focused on the interest in economic development, of which education and vocational education were the most prominent factors, which contributed to the establishment of diplomatic relations with the Federal Republic of Germany. In the same context, the study aimed to clarify the economic factors, financial weakness, and the lack of availability of raw materials necessary for industry and energy materials such as oil, gas, and coal. The study aimed to clarify the role of King Hussein in developing political and economic relations after upgrading diplomatic relations to the level of the embassy in 1956. This role emerged for King Hussein based on the traditional friendship with the British state and the United States of America. King Hussein's visit to the Federal Republic of Germany played an important role in encouraging German governments to help Jordan economically and politically.

Methodology: The study relied on the analytical historical approach, which relied on unpublished German documents in the archives of the German Ministry of Foreign Affairs, and contemporary sources, and employed them to serve the subject of the study that was not researched before.

Results: The study reached the following important results. The study proved that King Hussein played a fundamental role in establishing diplomatic relations and raising them to the level of the embassy, establishing economic relations, and obtaining economic assistance such as: establishing the cement company, extending the railway to transport phosphate to the port of Aqaba, and expanding Aqaba port, the one that facilitated the process of Jordanian exports.

Conclusion: King Hussein played a distinguished role in the exchange of diplomatic representation between Jordan and Federal Germany, and quickly developed and pushed it to the level of the embassy. In the economic field, the Jordanian state received various German aid, and contributed to the development of vocational education in Jordan.

Keywords: King Hussein, political, economic, financial and scientific relations, Federal Germany.

الملك الحسين وألمانيا الاتحادية

عبد المجيد زيد الشناق*

قسم التاريخ، كلية الآداب، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.

ملخّص

الأهداف: هدفت الدراسة إلى توضيح الدور الأساسي الذي لعبه الملك حسين بعد استلام سلطاته الدستورية في 2. 5. 1953م، الذي تركز على الاهتمام بالتنمية الاقتصادية، التي شكل التعليم والتعليم المهني أبرز عواملها، الأمر الذي ساهم في تأسيس العلاقات الدبلوماسية مع جمهورية ألمانيا الاتحادية. وبنفس السياق، هدفت الدراسة إلى توضيح العوامل الاقتصادية والضعف المالي، وقلة توفر المواد الخام الضرورية للصناعة ومواد الطاقة من البترول، والغاز، والفحم الحجري. وهدفت الدراسة إلى توضيح دور الملك حسين في تطوير العلاقات السياسية والاقتصادية بعد ترفيع العلاقات الدبلوماسية إلى مستوى السفارة عام 1956م. وبرز هذا الدور للملك حسين بناء على الصداقة التقليدية مع الدولة البريطانية، والولايات المتحدة الأمريكية. ولعبت زيارة الملك حسين إلى ألمانيا الاتحادية دورًا مهمًا في تشجيع الحكومات الألمانية على مساعدة الأردن اقتصاديًا وسياسيًا.

المنهجية: اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي الذي اعتمد على الوثائق الألمانية غير المنشورة في أرشيف وزارة الخارجية الألمانية، والمصادر المعاصرة، وتوظيفها بما يخدم موضوع الدراسة الذي لم يُطرق من قبل.

النتائج: توصلت الدراسة إلى النتائج المهمة الآتية، أثبتت الدراسة أن الملك حسين لعب دورًا أساسيًا في تأسيس علاقات دبلوماسية ورفعها إلى مستوى السفارة، وتشييد علاقات اقتصادية، والحصول على مساعدات اقتصادية مثل: إنشاء شركة الاسمنت، ومد سكة الحديد لنقل الفوسفات إلى ميناء العقبة، وتوسيع ميناء العقبة، تلك التي سهلت عملية الصادرات الأردنية.

الخلاصة: لقد لعب الملك حسين دورًا مميزًا في تبادل التمثيل الدبلوماسي بين الأردن وألمانيا الاتحادية، وسرعات ما طورها ودفع بها إلى مستوى السفارة، وفي المجال الاقتصادي حصلت الدولة الأردنية على مساعدات ألمانية متعددة، وساهمت في تطوير التعليم المهني في الأردن.

الكلمات الدالة: الملك حسين، العلاقات السياسية والاقتصادية والمالية والعلمية، ألمانيا الاتحادية.

مقدمة:

تأسست جمهورية ألمانيا الاتحادية عام 1949م، على أساس النظام السياسي الديمقراطي البرلماني الحزبي، وفاز بالانتخابات البرلمانية التحالف الحزبي المسيحي الديمقراطي، والمسيحي الاجتماعي CDU و CSU. وانتخب السياسي كونراد أديناور Konrad Adenauer، وكان يناهز السبعين، وشكل الحكومة بلا وزارة للخارجية، وبلا وزارة الدفاع؛ لأنها بقيت محصورة في المجلس العسكري الاحتلالي المكون من ممثلين عن: الولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا، وفرنسا (Al-Shannag, Dirasat, 1995, 2502).

وفي عام 1951م، تأسست وزارة الخارجية شريطة أن يتولى المستشار حقيبتها، وبدأت نشاطها الدبلوماسي مع دول العالم، وافتتحت وزارة الخارجية الألمانية الاتحادية أول سفارة لها في الوطن العربي، عندما أعادت نشاطها الدبلوماسي في بغداد، وعندما وصل السفير الألماني إلى بغداد تناولته الصحافة الإسرائيلية بعناوين مرعبة، مثل: "**دبلوماسي نازي يعود إلى بغداد**". وهدفت من وراء ذلك إرهاب الدبلوماسيين الألمان؛ حتى يبقوا أسرى لفظائع النظام النازي الألماني 1933-1945م، ومقيدين معنويًا في نشاطهم الدبلوماسي، والاقتصادي، والسياسي، والتعاوني (Al-Shannag, Dirasat, 1996, 194).

بداية العلاقات:

وفي الجانب الأردني، نشطت السياسة الخارجية الأردنية بعد الاستقلال، في إطار التبادل الدبلوماسي مع دول الإقليم، فبالإضافة إلى التبادل الدبلوماسي مع دول المشرق العربي: المملكة المصرية، والمملكة العراقية، والجمهورية السورية، والجمهورية اللبنانية، والمملكة العربية السعودية. وعلى الساحة الاوروبية وسع الأردن علاقاته الدبلوماسية إلى فرنسا، إضافة إلى ما كان يربط الأردن مع بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية.

وفي عام 1953م، استلم الملك حسين سلطاته الدستورية بعد بلوغه السن القانونية طبقًا للدستور الأردني، وشجع الملك حسين مبادرة رئيس الوزراء توفيق أبو الهدى، التي بدأت في 1952/8/5م، قبل تنحية الملك طلال بتاريخ 1952/8/11م، عندما عرضت الممثلية الدبلوماسية الأردنية في باريس باسم الحكومة الأردنية رغبة الأردن في بناء العلاقات الدبلوماسية مع الحكومة الألمانية الاتحادية على الممثلية الألمانية في باريس. وجاء رد وزارة الخارجية الألمانية بالموافقة، واقترحت أن يتولى الدكتور ميلخرز Dr. Melchers، وهو معين ضمن الفريق الدبلوماسي الألماني في بغداد، تمثيل ألمانيا الاتحادية في عمان، مع استمراره في مهمته في بغداد (Al-Shannag, Dirasat, 1997, 19).

وافقت الحكومة الأردنية على الاقتراح الألماني بتاريخ 1953/2/9م، ووصل الدكتور ميلخرز كأول ممثل دبلوماسي ألماني إلى الأردن بتاريخ 1953/11/17م، وقدم أوراق اعتماده إلى الملك حسين بن طلال، وشكلت هذه الخطوة بداية العلاقات الدبلوماسية بين ألمانيا الاتحادية والمملكة الأردنية الهاشمية (Gesandschaft der BRD in Baghdad, Dr. Melchers, PAAA, Abteilung 2Band 251, Aktz: 708/210-01/31 تقرير الدكتور ملخرز المفوض الرسمي الألماني في بغداد، وممثل البعثة الألمانية في عمان بتاريخ 1953/12/28م إلى وزارة الخارجية الألمانية في بون). ولم تتأثر مبادرة الملك حسين هذه في تطوير العلاقات مع ألمانيا الاتحادية باتفاقية المصالحة الألمانية مع إسرائيل، ناهيك عن عدم وجود موقف عربي موحد ضد الاتفاق (Al-Shannag, Dirasat, 2005, 569).

وفي الجانب الأردني، سعى الملك حسين لترسيخ وتقوية العلاقات مع الدول الغربية، وطورها لمصلحة الأردن خلال فترة حكمه 1953-1999 (Mahafzah, 1999, 29). لم تتمكن الحكومات الأردنية من إرسال البعثة الدبلوماسية الأردنية إلى ألمانيا؛ بسبب الضعف المالي في تغطية نفقاتها. وبعد الاستقرار السياسي، وتعريب قيادة الجيش العربي، أوعز الملك حسين إلى رئيس الحكومة سمير الرفاعي أن يعمل على تأسيس البعثة الدبلوماسية الأردنية في ألمانيا الاتحادية، وقام وزير الخارجية الأردنية حسين فخري الخالدي بإبلاغ البعثة الدبلوماسية الألمانية بتاريخ 1956/3/26م بقرار الحكومة الأردنية تأسيس البعثة الدبلوماسية الأردنية في بون، وعينت الوزير السابق فرحان شبيلات رئيسًا لها (البرقية المرسلة من كونراد فن شوبرت Konrad von Schubert رئيس البعثة الألمانية في عمان إلى وزارة الخارجية في بون، أرشيف وزارة الخارجية الألمانية 22 .92 .211 .201-708 ,PAAA).

وصل الدبلوماسي الأردني فرحان شبيلات بتاريخ 1956/5/18م العاصمة الانتقالية بون Bonn، وتقدم بأوراق اعتماده إلى الرئيس الألماني ثيودور هويس Theodor Heuss بتاريخ 1956/6/23م. وأعرب الرئيس الألماني عن رغبة ألمانيا في تقوية روابط العلاقات والتعاون مع المملكة الأردنية الهاشمية، وبعدها التقى شبيلات وزير الخارجية الألمانية هاينرش فن برنتانو Heinrich von Brentano بتاريخ 1956/6/30م، وصرّح شبيلات بأن الحكومة الأردنية تنظر لتعيينه راعيًا للمصالح الأردنية في هولندا، والنمسا، وسويسرا؛ بسبب الظروف المالية. وبنفس العام، استقلت البعثة الدبلوماسية الألمانية في عمان عن السفارة الألمانية في بغداد بتاريخ 1956/11/2م، وأصبح القائم بالأعمال رئيس البعثة كونراد فن شوبرت Konrad von Schubert، وهو عريق في السلك الدبلوماسي الألماني منذ 1925م.

ومن أبرز نشاطات البعثة الألمانية متابعة التطور الديمقراطي في الأردن، والانتخابات البرلمانية على أساس القوائم الحزبية، ورصدت بالتفصيل هذه العملية، وأرسلتها إلى مركز الوزارة في بون (تقرير البعثة الألمانية بتاريخ 1956/10/23 إلى بون 22 .92 ,01 .82 .708 .PAAA؛ وكذلك الأرشيف

العصري 23/11/1956 .Archiv der Gegenwart P. 6060؛ وجريدة فرانكفورت القماينة 28/11/1956 Frankfurter Algemeine).

وبعد عام انتقل شبيلات من بون ليعين سفيرًا للأردن في بغداد، وخلفه وصفي التل الذي عين رئيسًا للبعثة الدبلوماسية الأردنية في بون في أيار 1957م، ولم تطل خدمته في بون، حيث استدعي لاستلام منصب رئيس التشريفات الملكية. وعينت الحكومة الأردنية عبد الله زريقات خلفًا له في بون (تقرير القائم بالأعمال الألماني بتاريخ 1957/6/4م للخارجية الألمانية 82.03/92.22 .708. PAAA).

ونتيجة تطور الأحداث العربية الصاخبة في الإقليم (مصر وسورية)، والانقلاب العسكري في بغداد 1958م، شعرت ألمانيا بأنها بأمس الحاجة إلى رفع درجة التمثيل الدبلوماسي مع الأردن إلى مستوى تبادل السفارات (مذكرة القائم بالأعمال فن شوبرت من عمان بتاريخ 1959/5/9م إلى بون 92-81.00/206. 708. PAAA). وبناء عليه قدّم كونراد فن شوبرت أوراق اعتماده للملك حسين كأول سفير لألمانيا في عمان. وفي بون، قدم عبد الله زريقات بتاريخ 1959/12/11م أوراق اعتماده إلى الرئيس هاينرش لوبكه Heinrich Luebke كأول سفير للأردن في بون. وزاد من التقارب الألماني الأردني التلاقي في المصالح السياسية والاقتصادية بين ألمانيا والأردن، على أساس تحجيم أي تقارب نحو دول المعسكر الاشتراكي، ضمن إطار الحرب الباردة.

وأكد الملك حسين خلال لقائه مع الصحفي الألماني هوديتس نويمان Hoditz Neumann من جريدة دي فيلت Die Welt بتاريخ 1959/10/19م، على نهج السياسة الأردنية تجاه السياسة العراقية الجديدة، وموضوع مكافحة انتشار الشيوعية في الوطن العربي (الدفاع، 1959/10/25م؛ Die Welt, 20/10/1959).

وخلال لقاء الملك حسين القائم الألماني فن شوبرت بتاريخ 1959/5/6م عبّر له عن رغبته في زيارة ألمانيا الاتحادية، وسرعان ما أيّد القائم بالأعمال الألماني تنفيذ هذه الزيارة، وطلب من حكومته دعم هذه الزيارة الخاصة، وبدأت الزيارة الأولى لألمانيا بتاريخ 1959/11/22م، عندما كان قادمًا من سويسرا، وبمعيته الشريف ناصر بن جميل، وسكرتير الملك الخاص سليمان الدجاني، ومرافقه الإنجليزي الطيار راينر Captain Rainer.

وصرح الحسين أمام الصحفيين بعد دخوله الأراضي الألمانية "**بأن ألمانيا بلد نعجب به، وشعب نقدره، فهو صديق لنا في الحرية**" (تقرير وزارة الخارجية الالمانية 92.22-708.82.21 .PAAA. جريدة فلسطين بتاريخ 1959/11/24م). وزار الملك حسين برلين الغربية بتاريخ 1959/11/27م، وعبّرت جريدة دي فيلت Die Welt عن هذه الزيارة الهامة بما قاله الملك حسين بأن الأردن يشعر بكل قلبه مع برلين وحصارها من أجل الحرية، وكذلك جريدة فرانكفورتر القماينة (Frankfurter Algemeine 28/11/1959; Die Welt, 28/11/1959).

وقابل الحسين رئيس جمهورية ألمانيا الاتحادية هاينرش لوبكه بتاريخ 1959/11/26م بشكل ودي، ولمدة عشرين دقيقة، وكذلك التقى بالمستشار السياسي العريق كونراد أديناور بنفس اليوم، ولمدة ثلاثين دقيقة (الجهاد، 1959/11/30م؛ Telegraph, 28/11/1959: Berliner Morgenpost, 28/11/1959). واستمرت زيارات الملك حسين بعد بناء جدار برلين 1961م، وكذلك بعد حرب حزيران 1967م، وزادت المساعدات الألمانية الاقتصادية، والفنية، والتعليمية، مثل: بناء المدارس الصناعية في الأردن، ونشطت في السبعينات والثمانينات، وكانت مهامها كثيرة؛ وطنية، وعربية، ودولية شاملة. وكانت آخر زيارة له عام 1998م عندما تسلم جائزة الإعلام الألماني للسلام.

وبناءً على اصطفاف الملك حسين إلى جانب المعسكر الغربي منذ توليه السلطة الملكية، بحيث وقفت سياسة الملك في الجبهة المعادية للفكرة الشيوعية، والابتعاد عن بناء العلاقات مع المعسكر الاشتراكي، بزعامة الاتحاد السوفياتي، ومن ضمنها دولة ألمانيا الديمقراطية، المنافسة لدولة ألمانيا الاتحادية. واعتبرت السياسة الدولية استمرارية كلا الدولتين التابعتين لكلا المعسكرين هي بمثابة حجر المحك للسلام الأوروبي في مضمار الحرب الباردة. وبنفس السياق، لم تفكر السياسة الأردنية أصلًا في استغلال الصراع الألماني – الألماني كورقة ضغط في مسار العلاقات السياسية مع ألمانيا الاتحادية، بناءً على العوامل المهمة التي حتمت مسار الموقف الأردني، مثل: إيمان الموقف الأردني المعادي للشيوعية وأي تقارب منها، وضعف المستوى الإداري في كوادر وزارة الخارجية آنذاك، الذي فرض عدم تمكنها من متابعة أحداث السياسة الخارجية الألمانية، والداخلية، والاقتصادية، وعلاقاتها مع الأطراف الدولية، وعدم الإلمام بالوضع الداخلي الألماني، وأثر قضية الاعتراف بألمانيا الديمقراطية، بحيث لم تسخر السياسة الخارجية الأردنية في الحصول على مساعدات اقتصادية ومهنية، أفضل مما كانت تحصل عليه الدولة الأردنية من ألمانيا الاتحادية.

وبالمقابل، التزمت السياسة الألمانية بمبدأ عدم التدخل في الشؤون الأردنية، ونأت بنفسها عن الخلافات العربية – العربية في مرحلة الخمسينات، التي انعكست عليها آثار الحرب الباردة بين القطبين. وأظهرت المفوضية الألمانية في عمان اهتمامها في الأحداث الأردنية السياسية منذ 1956م، بعد إنهاء خدمات الفريق جون بقت كلوب، الذي كان يعارض التعامل الاقتصادي الأردني مع ألمانيا الاتحادية.

ورصدت المفوضية الانتخابات النيابية التي جرت بتاريخ 1956/10/1م، وأشار تقرير المفوضية الألمانية في عمان بتاريخ 1956/10/23م، المرسل إلى وزارة الخارجية في بون، إلى الحياة السياسية في الأردن، بحيث بلغ عدد الأحزاب السياسية التي تنافست على 40 مقعدًا عشرة أحزاب، ووصل عدد المرشحين إلى 136 مرشحًا، وأفرزت الانتخابات النتائج الآتية (تقرير المفوضية الألمانية في عمان بتاريخ 1956/10/23م إلى بون -01 .82-708 ,PAAA 92. 22؛ وكذلك الأرشيف العصري Archiv der Gegenwart, Bonn, 1956, P. 60 (AdG)؛ جريدة فرانكفورت القماينة Frankfurter Allgemeine Zeitung 23/10/1956):

الرقم	اسم الحزب	عدد المقاعد
1	الحزب الدستوري وهو حزب الحكومة، معتدل ورسمي	8
2	الحزب الوطني الاشتراكي، وهو يساري، معتدل ورسمي	11
3	حزب الإخوان المسلمين ذو الاتجاه الديني، ورسمي	4
4	حزب البعث العربي الاشتراكي، يساري قومي اشتراكي رسمي	2
5	الجبهة الوطنية، وهي شيوعية غير مسجلة رسميًا	3
6	حزب التحرير الإسلامي، حزب ديني متطرف غير مسجل	1
7	الحزب العربي الفلسطيني، جماعة المفتي الحاج محمد أمين الحسيني، غير مسجل	2
8	المستقلون	9

وفي وداع المفوض الأردني الدبلوماسي فرحان شبيلات، بعد تعيينه سفيرًا للأردن في بغداد، أعربت وزارة الخارجية الألمانية عن ارتياحها لتطور العلاقات بين ألمانيا والأردن، وأشارت إلى أهمية الأردن السياسية، والتاريخية، والثقافية، والدينية، والآثارية، تلك التي شكلت عناصر قوة جذب للأردن، كما أن للاقتصاد الألماني مصلحة في تطوير الاقتصاد الأردني (تقرير وزارة الخارجية الألمانية 4 أيار 1957م 22 .03/92 .82-708 ,PAAA).

وخلف فرحان الشبيلات الدبلوماسي في المفوضية الأردنية وصفي مصطفى التل، كرئيس للمفوضية الأردنية في بون في أيار 1957م، الذي لم تطل خدمته، إذ استدعي لاستلام منصب رئيس التشريفات الملكية في القصر، بقرار صدر بتاريخ 1957/5/14م (تقرير القائم بالأعمال الألماني بتاريخ 1957/6/4م إلى الخارجية الألمانية 03 .82-708 ,PAAA؛ التل، 1980، 37).

وتم تعيين الدبلوماسي عبد الله زريقات رئيسًا للمفوضية في بون، واعتبرته الخارجية الألمانية بأنه شخصية موالية للغرب، وبتاريخ 1957/10/18م، قدّم أوراق اعتماده لرئيس الجمهورية الألمانية ثيودور هوبيس Theodor Heuss، وخلال تقديم أوراق الاعتماد عبّر عن رغبة الملك حسين في الحصول على دعوة رسمية لزيارة ألمانيا الاتحادية (تقرير وزارة الخارجية الألمانية 1957/10/23م 22 .92-03 .82-708 ,PAAA). وقوبل هذا الطلب بالارتياح، ولم تثبّت الفترة الزمنية، إلا أن وزارة الخارجية الألمانية أجّلت البت في موضوع الزيارة الرسمية؛ بناءً على مبدأ التنافس بين الدول العربية التي عرضت نفس الطلب، فهناك دعوة من الملك فيصل تموز 1957م، وكذلك أولت أولوية منح الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود قبل الملوك الهاشميين. وبنفس السياق، نظرت الوزارة الألمانية إلى أهمية النظر إلى جمهورية مصر قبل ملوك العرب، وبناءً على هذه الموازنات، فضّلت وزارة الخارجية الألمانية بتاريخ 1958/10/26م الاعتذار بالأسلوب الدبلوماسي لعدم دعوة الملك حسين رسميًا (تقرير وزارة الخارجية الألمانية، قسم 316، بتاريخ 1957/10/26م 22 .92-01 .82-708 ,PAAA).

وخلال مقابلة عبد الله زريقات للمستشار الألماني كونراد أديناور Konrad Adenauer بتاريخ 1958/1/7م، أعرب عن تقدير الحكومة الأردنية وشكرها للوعود التي أطلقتها الحكومة الألمانية، التي تكفلت بعدم إرسال الأسلحة إلى إسرائيل. وعلّق المستشار كونراد أديناور أنه من المفهوم ضمنيًا عندما تشتعل في مكان لا يمكن حمل البنزين إلى هناك، وطالب بالنأي عن تصديق الإشاعات، وانتشار الأكاذيب حول موضوع شحن الأسلحة لإسرائيل، واعتمادًا على تصريح وكيل وزارة الدفاع الإسرائيلية عام 1957م شمعون بيريس، الذي أكد فيه بكل وضوح أن ألمانيا أرسلت منذ 1957م أسلحة ثقيلة إلى إسرائيل، وأرسلت كذلك مدربين طيارين، وناقلات القوات، وصواريخ مضادة للطائرات، ونظام تأمين قطع الغيار. وجاءت موافقة وزير الدفاع الألماني يوزيف شتراوس، بناءً على توكيل من المستشار نفسه أديناور بضرورة إرضاء رغبات شمعون بيريس (Huenseler, Peter, 1990, P. 142-144).

كان تخوف الأردن شرعيًا وواقعيًا، بحكم التماس العسكري بأطول حدود مع إسرائيل، وبنفس الوقت، كان الأردن يقف وحيدًا، دون وجود أي دولة عربية يستند إليها استراتيجيًا، وأمنيًا، واقتصاديًا.

وعقدت الحكومة الأردنية آمالًا على توسيع التعاون مع ألمانيا، ولذلك استقبلت اللجنة الاقتصادية الألمانية في عمان خلال الفترة من 9-1958/3/28م، وقابلت اللجنة برفقة القائم بالأعمال الألماني في عمان الدكتور فن شوبرت الملك حسين بتاريخ 1958/3/26م، ووقفت اللجنة على احتياجات الدولة الأردنية، ومن أعلى القيادات. واستقبل رئيس الوزراء ابراهيم هاشم اللجنة، بحضور وزير الخارجية سمير الرفاعي، ووزير الاقتصاد خلوصي الخيري، ووكيل وزارة الاقتصاد حازم نسيبة، وتحدد مشاكل الأردن في الشؤون الآتية:

أولًا: المياه.

ثانيًا: التدريب والتعليم المهني.

ثالثًا: اقتصاديات أهم الصناعات.

رابعًا: مشاكل المواصلات (تقرير وزارة الخارجية الألمانية المتضمن تقرير اللجنة الاقتصادية بتاريخ 1958/5/20م 22 .92-50 .82-708 ,PAAA).

ويشير بيان للحكومة الألمانية بتاريخ 1958/7/18م، حول تسارع تطور الأحداث السياسية في المنطقة العربية، منذ انقسام الصف العربي، على إثر تباين الاختلاف في المواقف تجاه مشروع أيزنهاور منذ كانون ثاني 1957م، حيث التزمت مصر وسوريا برفض المشروع الأمريكي، وأيدته كل من المملكة العربية السعودية، والمملكة العراقية، والمملكة الأردنية الهاشمية، ولبنان، والمملكة الليبية، وإسرائيل. وازداد التعقيد على إثر الانقلاب العسكري في بغداد بتاريخ 1958/7/14م، وخروج الجمهورية العراقية من حلف بغداد، ومن الاتحاد العربي، الأمر الذي انعكس على خلق مصاعب جديدة للدولة الأردنية. وحيّت الحكومة الألمانية البيان الأمريكي – الإنجليزي الذي رفض إنزال القوات العسكرية في العراق، بما فيها القوات الأردنية (بيان الحكومة الألمانية في الأرشيف العصري بتاريخ 1958/7/18م 7190 ,19. 7. 1958 ,Archiv der Gegenwart).

وفي عهد حكومة هزاع المجالي 1959/5/6م، قابل المفوض الألماني كونراد فن شوبرت، وأعلن عن رغبته في تعميق العلاقات الدبلوماسية مع ألمانيا الاتحادية (تقرير شوبرت من عمان بتاريخ 1959/5/9م إلى بون 206-00 .81-708 .PAAA)، وبناءً على ظروف الانقسام العربي العلني، فضلت السياسة الألمانية دعم السعودية والأردن معنويًا ودبلوماسيًا؛ برفع التمثيل الدبلوماسي إلى مستوى السفارة. ومنذ 1959/10/25م، قدّم الدكتور كونراد فن شوبرت أوراق اعتماده كأول سفير ألماني لدى الملك حسين، وفي بون قدّم عبد الله زريقات يوم 1959/12/11م أوراق اعتماده كأول سفير أردني إلى رئيس الجمهورية الألمانية هاينرش لوبكه Heinrich Lubeke (تصريح وزارة الخارجية الألمانية 1959/10/5م؛ جريدة الدفاع 1959/10/25م؛ Neue Zuercher Zeitung, 6/10/1959؛ Die Welt, 20/10/1959).

ويظهر من هذا التطور في العلاقات السياسية استمرار قاعدة التلاقي في المصالح السياسية بين ألمانيا والأردن، على أساس مقاومة أي تقارب نحو المعسكر الاشتراكي، وأكد الملك حسين خلال لقائه مع الصحفي الألماني نيومان هوديتس Neumann Hoditz من جريدة دي فيلت Die Welt، بتاريخ 1959/10/19م تغيير نهج السياسة الأردنية نحو العراق، وموضوع مكافحة انتشار الشيوعية في الوطن العربي (جريدة الدفاع 1959/10/25م؛ Die Welt, 20/10/1959).

ومما زاد التقارب السياسي بين الملك حسين وألمانيا الاتحادية، التحول الاستراتيجي الذي قاده الملك حسين منذ عزمه على عزل الفريق جون كلوب قائد الجيش الأردني عن منصبه، واندلاع حرب السويس، وبروز الموقف الأمريكي من خلال مشروع آيزنهاور، وموافقة الملك حسين على قبوله، أصبحت الدولة العظمى الداعمة للملك، وأصبح السلاح العسكري الأردني أمريكي الصنع، واستراتيجية الجيش العربي الاستراتيجية الغربية، بقيادة الدولة العظمى الأولى في العالم. وبناءً على سياسة الملك حسين الواقعية، والمبدئية في صف المعسكر الغربي، أصبح الدعم الألماني للأردن يأخذ منحى أوضح، واتسعت مجالات التعاون.

وبنفس السياق، وافقت الحكومة الألمانية على زيارة الملك حسين الخاصة إلى ألمانيا، تلك التي بدأت بتاريخ 1959/11/22م، قادمًا من سويسرا، وبمعيته الشريف ناصر بن جميل، وسكرتيره الخاص سليمان الدجاني، ومرافقه الإنجليزي الطيار راينر Captain Rainer. والتقى الحسين رئيس الجمهورية الألمانية هاينرش لوبكه بتاريخ 1959/11/26م، بشكل ودي، ولمدة 20 دقيقة، وكذلك التقى المستشار كونراد أديناور لمدة 30 دقيقة فقط (جريدة الجهاد 1959/11/30م؛ Berliner Morgenpost 28/11/1959)، وصرّح الملك حسين أمام الصحافيين بعد دخوله الأرض الألمانية بأن ألمانيا "**بلد نعجب به، وشعب نقدره، فهو صديق لنا في الحرية**" (جريدة فلسطين، 1959/11/24م).

الحسين مع الرئيس لوبكه رئيس الجمهورية الألمانية الاتحادية عام 1959م، المصدر: دائرة الإعلام والصحافة الحكومية، أرشيف الصور. Quelle: (Presse – und Informationsamt der Bundesregier Bilder Archiv. Bonn, Welckerstrasse 11).

موقف الحسين من مشكلة برلين

وبما أن برلين تحتل مكانة سياسية، ومعنوية، وتاريخية بالنسبة للحكومة الألمانية الاتحادية، قام الملك حسين بزيارة العاصمة التاريخية، المقاطعة الغربية بتاريخ 1959/11/27م، برفقة السفير الأردني في بون عبد الله زريقات، والشريف ناصر بن جميل، ومستشار السفارة الأردنية هاني هاشم، وصرّح الملك حسين في برلين: "**يسعدني أن أزور هذه المدينة الباسلة، وخصوصًا في هذا اليوم الذي يو افق مرور عام على أزمتها، وأحيي أهلها باسمي، ونيابة عن شعبي الذي يكن لكم جميعًا عظيم التقدير والمحبة لمو اقفكم البطولية، و إننا إذ ننظر إلى ما مرّ بنا من محن وتجارب، ليزيد تقديرنا واعجابنا بكم، وبشجاعتكم، حيث إننا نقدس الشجاعة في الحق، ونفضل الموت على التفريط في حريتنا، و إنني أترقب بشوق وأمل ذلك اليوم الذي تتحقق فيه وحدة هذا البلد العظيم، عندما تسترجع هذه المدينة الباسلة حريتها، ومركزها لتكون عاصمة لأبنائها في بلدهم الحرّ الموحد**" (جريدة الجهاد بتاريخ 1959/11/30م؛ Berliner Morgenpost 28/11/1959؛ Frankfurter Allgemeine Zeitung 28/11/1959).

وعقبت جريدة دي فيلت على هذا الحدث بما قاله الملك حسين، من أن الأردن يشعر بكل قلبه مع برلين وحصارها من أجل الحرية (Die Welt 28/11/1959)، وبما أن عمدة برلين فيلي براندت Willy Brandt، وهو من قيادة الحزب الديمقراطي الاشتراكي قدّر للملك حسين زيارته للعاصمة التاريخية، والمقسمة إلى برلين الشرقية، وهذا الجزء هو عاصمة جمهورية ألمانيا الديمقراطية، وبرلين الغربية، التابعة كولاية لجمهورية ألمانيا الاتحادية، وجاء في كلمة الاستقبال أمام الملك حسين: "**يشرفني وسكان مدينة برلين أن نستقبل في هذا اليوم ضيفًا عظيمًا، عرفناه نصيرًا للحريات، ومكافحًا أمينًا في سبيل مبادئها، وهو الحسين بن طلال ملك المملكة الأردنية الهاشمية، الذي شرّف مدينتنا؛ ليشاركنا الأمل، وليرفع من معنويات سكان هذا البلد، الذين صبروا وتحملوا وكافحوا حتى تمكنوا من تحقيق ازدهار بلدهم الاقتصادي، رغم الحصار الذي ضرب علينا، والعر اقيل التي وضعت أمامنا. وقد كان لي شرف التعرف على جلالة الملك الحسين العظيم في لندن، والآن يسرني أن أحمل لسكان هذه المدينة حماس هذا الملك العظيم من أجل قضيتهم، وعطفه على ما يقاسي هذا الشعب، ومبادلته الشوق الطيب والأمل المرتقب، ومنذ ذلك اليوم وسكان برلين يتطلعون بشوق إلى ذلك اليوم الذي يشرفهم الحسين العظيم بزيارته الكريمة، فبكل افتخار واعتزاز أرحب بكم أيها الضيف العظيم، راجيًا أن تتفضلوا جلالتكم بقبول هذه الهدية المتواضعة في المبنى، الكبيرة في المعنى، والتي ترمز إلى الازدهار الاقتصادي والصناعي لهذه المدينة، معبرة عمّا يكنه هذا الشعب من حب وتقدير عظيمين لشخصكم الكريم**"، وقد تناولت الصحف الرئيسية تغطية هذا الاستقبال الرائع، بما فيها جريدة الحزب الديمقراطي الاشتراكي (Frankfurter Allgemeine Zeitung 28/11/1959; Sueddeutsche Zeitung 28/11/1959; Die Welt 28/11/1959; Berliner Morgenpost 28/11/1959; Telegraph 28/11/1959).

الحسين مع المستشار الأول لجمهورية ألمانيا الاتحادية كونراد أديناور، ووزير الخارجية فن برنتانو عام 1959م
(Bilderarchiv, Presse-und Informationsamt)

وفي سياق الاهتمام الألماني بالأردن، لعبت العوامل الآتية دورًا أساسيًا في تطور العلاقات الثنائية بين البلدين:

1.يلعب الأردن دورًا مميزًا في السياسة الدولية، على عكس ضعفه في الموارد الاقتصادية، والمواد الخام الصناعية، وفقدان مواد الطاقة الاستراتيجية، مثل: البترول، الفحم الحجري، وغيره (Masarwah, Bonn, 1999, 49).

2.امتلاك الأردن بقيادة الملك حسين انفتاحًا في العلاقات الدولية، وتحديدًا مع دول العالم الغربي، بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية منذ

الخمسينات من القرن الماضي، تلك التي قامت على الاحترام المتبادل.

3.نهج الملك حسين السياسة الوسطية في بناء العلاقات مع الدول الأوروبية، والانفتاح على كل دول العالم، بعيدًا عن الأحكام المسبقة، بناءً على أسس المصالح واستراتيجية السياسة الخارجية (Masarwah, Bonn, 1999, 45).

4.الدور الأردني المميز عن باقي الدول العربية في المجال السياسي، والاجتماعي، في استيعاب أعداد كثيرة من اللاجئين الفلسطينيين في الدولة الأردنية، والنهج الذي سهل قانونيًا عملية الاندماج الاجتماعي والسياسي، على أساس التمتع بالحقوق والواجبات. وبناءً عليه، تمتع الأردن بمستوى عالٍ ومرموق بامتلاكه القوى البشرية، المتعلمة والمدربة، والفنية، وتطورها بحيث أصبحت تعتبر من أعلى الدول على مستوى التعليم، والطاقات العمالية الماهرة في الإقليم (Bahadir, 1999, 78; Hadawi, 1979, 134).

5.امتلاك الأردن تراثًا تاريخيًا، وأماكن آثارية، لها أهميتها بالنسبة للسياحة، وقوة جذبها للسياح الألمان، بناءً على البنى التحتية السياحية المطلوبة، من حيث توفير شبكات الطرق، والمواصلات، والنقل الحديث، ووفرة الأمن، والاستقرار، واحترام الضيف (Schliephake, Konrad, 1999, 81).

6.ازدياد أهمية الأردن في المجتمع الدولي بعد الوحدة الفلسطينية الأردنية 1950م، بحيث أصبحت الدولة الأردنية ترعى أكبر عدد من اللاجئين الفلسطينيين في الضفة الغربية، التي ضمت 22 مخيمًا تحت رعاية وكالة الغوث وتشغيل اللاجئين. وكذلك، 6 مخيمات في الضفة الشرقية. وبعد احتلال إسرائيل للضفة الغربية، ازداد عدد المهاجرين الفلسطينيين إلى الضفة الشرقية، الذين أطلق عليهم مخيمات النازحين، وناف عددهم عن 300.000 نازح، تحملت الدولة الأردنية شؤونهم (Masarwah, Bonn, 1999, 50).

وأثرت نشاطات الحسين على المستوى الألماني والعالمي بعد حرب حزيران 1967م، واحتلال الضفة الغربية إيجابيًا، ولاقت تجاوبًا لإنصاف الأردن؛ من خلال تأسيس جمعية الصداقة الألمانية الأردنية عام 1968م "Deutsch- jordanische Gesellschaft ohne Ort, 1968". وأصدرت نشرة توضيحية وإعلامية تحت عنوان: (إنصاف الأردن Gerechtigkeit fuer Jordanien)، وأبرزت نشاطات الملك حسين الألمانية والأوروبية بعد 1967م، ودور السفير الأردني فرحان شبيلات، وأبرزت النشرة التحديات التي واجهتها الدولة الأردنية تجاه النازحين، ودور الملك في توضيح الموقف الأردني، والسعي للحصول على التأييد والدعم لتحمل المسؤوليات الإنسانية في الأردن (Deutsch-jordanische Gesellschaft, e.v. 1968, 3, 10-24).

ومهدت عملية تطور العلاقات الثنائية بين ألمانيا الاتحادية والأردن، لا سيما بعد الانطباعات الإيجابية التي تركتها الزيارة الخاصة للحسين إلى ألمانيا، في عهد حكومة المستشار الثاني لوديف إيرهارد Ludwig Erhard 1963-1966م. وبنفس السياق، أظهرت الحكومة الألمانية اهتمامًا خاصًا ومميزًا بالحسين؛ من خلال توجيه دعوة رسمية له لزيارة ألمانيا الاتحادية (Haas, 1975, 534).

وفي تشرين الثاني 1964م، تمت الزيارة الأولى الرسمية التي عبّرت عن مستوى العلاقات الثنائية المتميزة، وعبّر عن ذلك الحسين: "**إن ماضينا عريق وغني بالأمثلة على التعاون المشترك، والصداقة، وكشعوب نحن سعداء على أن نكون أحرارًا، وفخورين بأننا ننتمي إلى عائلة الأمم الحرة، ومقررين أن نصون حريتنا، وندافع عن حقوقنا**" (الملك حسين، مقتبس عند Haas, 1975, 535).

الحسين إلى جانب المستشار الألماني الثاني إيرهارد في أول زيارة رسمية عام 1964م(Bilderarchiv, Bonn)

وخلال هذه الزيارة، تم توقيع اتفاقية تعاون مالي بقيمة 775 مليون مارك؛ لتمويل توسعة ميناء العقبة، واتفاقية أخرى لتمويل مشروع مدرسة الأيتام الصناعية، من قبل مؤسسة ثيودور شنلر Theodor Schneller الخيرية، للمرحلة الإعدادية، وكذلك للتدريب المهني بقيمة 8 مليون مارك بتاريخ 1965/2/3م (Haas, 1975, 535). وحظيت زيارة الحسين باستقبال رسمي من قبل رئيس الجمهورية الألمانية هاينرش لوبكه Heinrich Luebke، في القصر الجمهوري في بون، وبعدها توجه إلى العاصمة التاريخية لألمانيا برلين، وشاهد تقسيمها إلى برلين الغربية، وبرلين الشرقية. وفي برلين التقى الحسين بعمدة ولاية برلين الغربية، زعيم الحزب الاشتراكي الديمقراطي فيلي براندت، وتم تبادل الهدايا تعبيرًا عن التقدير الخاص للضيف الحسين.

الحسين بالزي العسكري الأردني يجرّب قطعة سلاح ألمانية الصنع، خلال زيارته لإحدى القواعد العسكرية في ألمانيا عام 1964م (Bilderarchiv, Bonn)

الحسين مع عمدة برلين الغربية فيلي بر اندت، زعيم الحزب الاشتراكي الديمقراطي عام 1964م (Bilderarchiv, Bonn)

الحسين وسمو الأميرة منى أمام بوابة النصر التاريخية، ومن خلفهم جدار فصل برلين الشرقية عن الغربية عام 1964م (Bilderarchiv, Bonn)

وخلال أول عقد من استلام الحسين سلطاته الدستورية، أدى اهتمامه بالعلاقات مع ألمانيا الاتحادية إلى تطوير التبادل التجاري بين البلدين. وبهذا السياق، كانت المفوضية الألمانية في عمان ترصد الواقع الاقتصادي، والتحديات التي واجهها الأردن آنذاك، وأهمها فقدان السيولة النقدية لتمويل مشاريع المياه، والصحة، والتعليم، والنقل (تقرير المفوضية الألمانية في بغداد بتاريخ 1954/5/31م PAAA, Abt. 4-Ref. 416-301-01/73).

وسجلت الصادرات الألمانية إلى الأردن بناءً على التقرير الاقتصادي الأول بتاريخ 1953/4/12م كالتالي بالمارك الألماني، الذي كان يعادل 11.5 مقابل الدينار، فعلى سبيل المثال: سجلت 7700 مارك، وبالمقابل لم تصدر الأردن أي شيء. واشتملت الصادرات الألمانية على مواسير فولاذية، مواد حديدية، آلات زراعية، ماكينات توليد طاقة، أدوات كهربائية، مواد دهانات، ومواد طبية (Statistisches Jahrbuch, 1956, 283). ورصدت المفوضية الألمانية في بغداد بتقريرها الاقتصادي الأول بتاريخ 1953/4/12م انتاج الفوسفات:

1950م	**500 طن**	**1953م**	**40.000 طن**
1951م	10.000 طن	1954م	100.000 طن
1952م	25.000 طن		

وكانت الخطة الرسمية تهدف إلى انتاج 250.000 طن سنويًا (PAAA. Abt. 4-Ref. 416-301-01. 73).

ولأول مرة ترتفع صادرات ألمانيا الاتحادية إلى الأردن، إذ بلغت عام 1954م إلى 1.106.000 دينار أردني، وكان ترتيب ألمانيا من مجموع الدول المصدرة إلى الأردن الخامس، بعد بريطانيا، ولبنان ترانزيت، وسوريا ترانزيت، والولايات المتحدة الأمريكية. وبالمقابل، بلغت الصادرات الأردنية إلى ألمانيا ما قيمته 4.073 دينار فقط، وبذلك جاء ترتيب ألمانيا من بين الدول المستوردة من الأردن رقم 13 (التقرير الاقتصادي للمفوضية الألمانية بعمان بتاريخ 1956/3/5م؛ النشرة الإحصائية السنوية الأردنية؛ 73 ,PAAA. 416-300-05).

وفي عام 1956م، ارتفعت صادرات ألمانيا إلى الأردن إلى 2.5 مليون دينار، أي ما يعادل 9% من مجموع الاستيراد الأردني، طبقًا للتقرير الاقتصادي من المفوضية الألمانية بعمان المرسل إلى بون، بتاريخ 1957/4/9م (PAAA, 416. 300-154/157). وفي مطلع الخمسينيات، لم تكن هناك بنوك عاملة سوى أربعة خاضعة للتأثير البريطاني، وهي:

1.البنك العربي برأسمال مليون دينار.

2.البنك الأهلي العربي برأسمال 780.000 دينار.

3.البنك البريطاني لإيران والشرق الأوسط.

4.البنك العثماني برأسمال 5 مليون دينار.

طبقًا للتقرير الاقتصادي للبعثة الدبلوماسية الألمانية في بغداد بتاريخ 1953/4/12م؛ بحكم مسؤوليتها عن العلاقات مع الأردن (PAAA, Abt. 4- Referat 416-301-01/73).

وكمؤشر على اهتمام ألمانيا الاتحادية بالمساهمة في نهضة الاقتصاد الأردني، تلك المحاولات لمشاريع مهمة في مرحلة الخمسينيات من القرن العشرين، مثل: محاولة الشركات الألمانية الحصول على عرض إنشاء مصفاة البترول الأردنية المساهمة. وقد حاولت وزارة الاقتصاد الألمانية تقديم الخبير الألماني باور Pauer لدراسة الموضوع، وتتحمل الوزارة كافة التكاليف. وعلى الرغم من ذلك، فازت الشركة الهولندية Comprimo Amsterdam N. V التي حصلت على امتياز تنفيذ المشروع، وكان ينتظر أن تكرر المصفاة سنويًا 250.000 طن؛ أي ما يعادل 58% من إجمالي الطاقة التشغيلية فقط (PAAA, 416. 154l157, 9.4.1957).

وكذلك محاولة وزارة التغذية الألمانية الوقوف على طرق عصر زيت الزيتون في الأردن؛ حتى يتسنى للوزارة إصدار الموافقة على استيراد زيت الزيتون الأردني إلى الأسواق الألمانية، بناءً على كتاب رسمي وجهته إلى وزارة الخارجية الألمانية بتاريخ 1956/8/13م. ويعتبر مؤشرًا على رغبة الحكومة الألمانية في تشجيع استيراد المنتوجات الأردنية، ولم يكن الزيت الأردني قادرًا على منافسة الزيت الإيطالي، واليوناني، والإسباني (PAAA, 416-380-02/73).

والمحاولة الاقتصادية الثالثة، تناولت شأن البحث والتنقيب عن البترول في الأراضي الأردنية؛ لتوفره في المناطق المحيطة بالأردن، فقد شجعت بعض الشركات الألمانية لتعبر عن اهتمامها عندما وصل من الشركة الألمانية Wintershall Aktiengesellschaft, Celle/ Kassel وفد مكون من الدكتور فيلهلم كيرر Dr. Wilhelm Kehrer، وهاينتز مال Heinz Mahl بتاريخ 1955/4/18م؛ لإجراء محادثات مع الحكومة الأردنية حول الحصول على الامتياز النفطي، وبدأت المفاوضات بشكل سري ومهذب، بعيدًا عن الإعلام، وبترتيب من قبل المفوضية الألمانية مع الجهات الرسمية الأردنية. وكان الموضوع يمتاز بالحساسية الفائقة، لا سيما أن المنافسة التقليدية المتمثلة في الشركات الإنجليزية، والأمريكية، والفرنسية كانت تشكل سدًّا منيعًا في احتكاراتها النفطية، يصعب على الألمان الاتحاديين اختراقه. وانصبت المحادثات على مساحة التنقيب، وتوضح فيما بعد أن الحكومة الأردنية تريد موازنة التوزيع، بحيث لا ينحصر الامتياز في شركة واحدة، ولذلك قسمت الأرض الأردنية إلى ثلاث مناطق: 1- منخفض البحر الميت والأغوار 2- الشمال الغربي الأردني 3- الشمال الشرقي الأردني. وغادر الوفد الألماني بتاريخ 1955/2/24م الأردن دون أن يحصل على نتيجة نهائية.

وسرعان ما وقعت الحكومة الأردنية اتفاقية حق التنقيب عن النفط مع الشركة الأمريكية Edwin W. Pauley-San Francisco في المنطقة الشرقية، ووسط الأردن، وشمال الأردن، والبحر الميت، والضفة الغربية. وهكذا فازت الشركات الأمريكية لحساسية المنطقة، والموضوع الاقتصادي، وهيمنة السياسة الأمريكية على الطرفين السياسي والاقتصادي الألماني والأردني أيضًا.

ولم تضعف عزيمة الألمان في البحث عن موطئ قدم في المشاريع الاقتصادية الأردنية، ومنذ 1955م بدأت تنافس شركات بريطانية، وفرنسية، وإيطالية، وهولندية، ودنماركية، وبوغسلافية على مشروع توسعة ميناء العقبة، حتى يصبح يستقبل السفن الكبيرة، التي تزيد حمولتها عن 10.000 طن، ولم يمتلك الميناء إلّا 9 رافعات بحمولات مختلفة 2 طن، و 6 طن، و 10 طن. وفي عام 1958م، وصل عدد السفن التي أبحرت إلى ميناء العقبة 505 سفينة، كانت منها فقط 22 سفينة ألمانية محملة بالبضائع الألمانية، طبقًا لتقرير المفوضية الألمانية في عمّان بتاريخ 1959/1/9م (PAAA. 416-82. 06-22/59).

وكانت التوسعة للميناء مهمة سيادية؛ لتحرير التجارة الأردنية، والنقل للواردات والصادرات التي كانت تعتمد على بيروت، وعلاقاتها مع الحكومة السورية، والأردن وعلاقته مع الحكومات السورية. وحصلت الشركة الألمانية Ed. Zueblin A.G. Duisberg ذات الخبرة الطويلة في بلاد العرب وخاصة في العراق، وتم توقيع الاتفاقية بتاريخ 1956/10/3م. وبنفس السياق، ولأهمية هذا الإنجاز، استقبل الملك حسين شخصيًا ممثلي الشركة بعد التوقيع، وباشرت الشركة الألمانية العمل في شباط 1957م (PAAA. 416-82. 06/59). وبناءً على ازدياد النشاط الاقتصادي الأردني نتيجة مرحلة النمو والبناء الاقتصادي، قدم وكيل وزارة الاقتصاد الأردني حمد الفرحان إلى ألمانيا في 1957/8/5م، طبقًا لموافقة وزارة الاقتصاد الألمانية من خلال كتابها إلى وزارة الخارجية الألمانية (PAAA. 416-84. 02/0 VB4-30-684/58).

ونجحت جهود وكيل وزارة الاقتصاد الأردنية حمد الفرحان في ألمانيا، ودعمت وزارة الخارجية الألمانية من خلال تشجيع ممثلي الشركات الألمانية برفع الاستيراد من المنتجات الأردنية، مثل: التبغ، الفوسفات، وزيت الزيتون، والمنتجات اليدوية، من الغزل، التطريز، كما ورد في كتاب وزارة الاقتصاد الألمانية الموجه لوزارة الخارجية الألمانية بتاريخ 1958/1/27م (PAAA. 416-84> 02/0 VB4-30-684/58).

وبهذا السياق، أقرت الحكومة الأردنية منح رخص الاستيراد منذ الأول من أيار 1956م للبضائع من ألمانيا الاتحادية، ويجب تصديق المعاملات

التجارية من قبل المفوضية الأردنية في بون، طبقًا لشروط نظام المقاطعة العربية، الذي فرضته الجامعة العربية على كل الشركات العالمية التي تتعامل مع إسرائيل، وأبلغت المفوضية الأردنية في بون وزارة الخارجية الألمانية من خلال المذكرة الدبلوماسية بتاريخ 1957/7/17م (PAAA. 416-84. 01:4).

ويشير الكتاب الإحصائي السنوي الألماني لعام 1962م، بأن الصادرات الألمانية إلى الأردن نمت منذ عام 1957م، حيث سجلت 2.46 مليون دينار، وفي عام 1958م ارتفعت إلى 3.75 مليون دينار، وفي عام 1959م وصلت قيمة الصادرات الألمانية إلى 4.9 مليون دينار (Statistisches Jahrbuch, 1962, 329).

سياسة الحسين للتعاون العلمي الإنساني الخيري مع ألمانيا

ساهمت سياسة الانفتاح التي انتهجها الملك حسين على ألمانيا الاتحادية من أجل تحقيق النمو في المجال العلمي الاجتماعي الخيري الألماني على الساحة الأردنية، ودخلت المؤسسات التعليمية الألمانية ضمن اهتمام ورعاية وزارة الخارجية الألمانية، وهي:

1.المدرسة الثانوية للبنات في القدس Schmidtschule - Maedchenoberschule – Damaskustor.

2.المدرسة الابتدائية في القدس، Elementarschule – Jerusalem.

3.المدرسة الابتدائية في بيت ساحور.

4.بيت للأولاد الأيتام، ومدرسة يومية في بيت لحم Knaben – Weisenhaus und Tagesschule Frl. Eilaender.

5.بيت للبنات اليتيمات، ومدرسة لوثرية في بيت جالا Maedchen – Weisenhaus der Kaiserwerther Schwestern.

6.المدرسة الصناعية، مدرسة للعميان في جبل الزيتون القدسي Handwerk und Blindenschule der Kaiserin – Auguste – Viktoria – Stiftung.

وكانت هذه المدارس تمول من الرابطة الألمانية للأرض المقدسة "Deutsches Verein vom Heiligen Land"، ووصل عدد التلميذات 400 في عام 1956م، وضمت كل المراحل من الروضة – الابتدائية والثانوية، حتى إنهاء دار المعلمات، وكانت تقدم مهارات الآلة الكاتبة، والموسيقى، والسكرتارية، وتدرس كل المواد منذ الصف السادس الابتدائي، وطبقت نظام التدريس المختلط (ذكور وإناث)، والمدرسون والمدرسات من الألمان.

وبنفس السياق، توسع نشاط التعليم الصناعي على غرار المدرسة الصناعية الوحيدة في عمّان إلى مدينة إربد، حيث أسست ألمانيا المدرسة الصناعية، وتجهيزاتها الكاملة، مع تكاليف المدرسين. وتخرج الكثير من الطلاب والطالبات كطاقات علمية أكاديمية ومهنية، خدمت النمو الاقتصادي الأردني. وبناء على هذه التجارب، دعمت البعثة الدبلوماسية الألمانية، وشجعت التعاون المشترك على ضوء التجربة الأردنية مع الدول النامية، بتقريرها الذي رفعته إلى وزارة الخارجية الألمانية في بون بتاريخ 1957/12/31م

(PAAA, 708. 82. 21-400-88. 568/57).

وعلى مستوى التعليم العالي، حدد التقرير الدبلوماسي حاجة الأردن الضرورية، والتي يمكن لألمانيا أن تحققها، وهي:

1.توفير بعثات للدراسة في الجامعات الألمانية، كليات الهندسة، والمدارس العليا الهندسية، حيث فترة الدراسة 3 سنوات.

2.تدريب العمال المهنيين الأردنيين في المعامل الألمانية بمعدل 50 عامل سنويًا، ولثلاث سنوات متلاحقة.

3.تأسيس فرع لمعهد غوته في عمان Goethe – Institut.

4.تشجيع بناء مؤسسات التأهيل المهني Ausbildungsstaette.، ومؤسسة لتصليح السيارات، ومؤسسة للكهرباء ودعمها بالأموال اللازمة، والفنيين الألمان المتخصصين.

5.تسهيل ودعم الزيارات الاستطلاعية إلى ألمانيا، وخاصة للمعلمين والمدربين في مؤسسات التدريب المهني، والمدارس الصناعية والزراعية. وتكون سنوية، وتضم 20 شخصًا، وتشمل المتنفذين في الغرف التجارية، ومديري الصناعات التقنية الخاصة. ويتم من خلالها الاطلاع على الجامعات والمعاهد الصناعية، وزيارة المصانع (PAAA. 708.82.50.400-305-553/57).

وبناءً على طلب الحكومة الأردنية، فقد قررت مؤسسة مشروع شنللر الذي تشرف عليه الرابطة الإفنجيلية التبشيرية، ومقرها مدينة كولون Koeln، بناء المؤسسة الجديدة في منطقة عمان/ الرصيفة. وتم بناء المدرسة المهنية منذ 1957م لكل أقسامها.

"Evangelischer Verein fuer das Syrische Weisenhaus in Jerusalem Missionsgesellschaft fuer das Heilige Land- Koeln – Sellbrueck"

ولاهتمام الملك حسين في إنجاز هذه المشاريع الضرورية للأردن، استقبل المفوض الألماني شخصيًا في عمان بتاريخ 1957/7/17م، واستفسر منه عن هذا المشروع، وإلى أية مرحلة وصل العمل والبناء، وأعرب عن رغبة الحكومة الأردنية في تحقيقه، وتقديم الدعم الكامل له (PAAA, 416. 84. 00/57).

ودعمت الحكومة الألمانية بناء على الموافقات والتسهيلات التي وجهها الملك حسين لتقديمها، من خلال تقديم الخبراء الألمان حول استغلال المياه الجوفية، وفي مجال مكافحة الجراد. وبنفس السياق، زار رئيس مجلس الإعمار الأردني الدكتور حازم نسيبة بتاريخ 1959/10/8م ألمانيا، وفي نفس الشهر، وصل وزير الزراعة عاكف الفايز للاطلاع على التجربة الألمانية الزراعية.

وبتاريخ 1959/9/8م، تكللت كل الجهود من الطرفين لتوقيع الاتفاق الألماني الأردني في عمّان، الذي نظم المعونة الألمانية وبرمجها للتنفيذ، وأولها تنفيذ

بناء المدرسة الصناعية في إربد. وأشار تقرير السفارة إلى بدء التنفيذ منذ توقيع الاتفاق (PAAA. 708-83. 04/59. Deutsche Botschaft in Amman).

ونلاحظ من خلال تقارير وزارة الخارجية الألمانية، وتقارير السفارة الألمانية منذ 1959م لترقية المفوضية إلى سفارة، وكذلك المفوضية الأردنية في بون ترقت إلى سفارة، الأمر الذي يدلل على التطور الإيجابي في مستوى العلاقات الثنائية، كثمرة لنشاط وجهود الملك حسين المتواصلة في دعم وتطوير وتسهيل كل النشاطات الألمانية على الساحة الأردنية، وكان لهذه السياسة الأثر الملحوظ والملموس من قبل المواطنين والمؤسسات الأردنية.

وبمناسبة زواج الملك حسين من سمو الأميرة منى الحسين بتاريخ 1961/5/25م، أرسل رئيس الجمهورية الألمانية برقية تهنئة للملك حسين وسمو الأميرة، وساهمت السفارة الألمانية حسب تقريرها الصادر من عمان إلى بون رغبة السفير شوبرت بإرسال برقية التهنئة بتاريخ 1961/5/2م (PAAA. 708. 81. 00. 92. 22/61).

وتناولت الجرائد الألمانية الرئيسية هذه المناسبة، وأبرزت صور الملك حسين وسمو الأميرة، مثل جريدة Sueddeutsche Zeitung سود دوتشه، بتاريخ 1961/5/21م، وجريدة جنرال انتسايقر General Anzeiger بتاريخ 1961/5/25م. وفي عام 1961م تأسس معهد غوته في عمّان، وانتقل إلى المبنى الحالي في جبل عمان، شارع عبد المنعم الرفاعي عام 1964م، ويقدم المعهد فرص تعليم الألمانية، ويعقد النشاطات الثقافية بين الأردن وألمانيا. وساهم المعهد في تعريف الأردنيين على الحياة الثقافية في ألمانيا.

وشكلت العلاقات الألمانية الإسرائيلية عامل أساسي، أثر باستمرار على مسار تحركات الملك حسين كصديق للدول الأوروبية الغربية، والولايات المتحدة الأمريكية. وراقبت النجاح الذي حققته السياسة الخارجية الأردنية مع ألمانيا الاتحادية، ونجحت الضغوطات الإسرائيلية في الحصول على أحدث الأسلحة وبكميات كبيرة وسخية وشاملة، لكل الأصناف التي تحتاجها إسرائيل منذ 1957-1965م.

وبتاريخ 1965/3/7م، قرر المستشار لودفيق إيرهارد إقامة العلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل، وردّ الكنيست الإسرائيلي بقرار الموافقة على إقامة العلاقات الدبلوماسية مع ألمانيا الاتحادية (Yeshayahu A. Jelinek (Hrsg), 1977, 116).

وأرادت الحكومة الألمانية أن تقدم أكبر هدية معنوية لليهود في العالم ولإسرائيل، عندما قررت إعلان الاعتراف السياسي بدولة إسرائيل، وقرار تبادل التمثيل الدبلوماسي بين البلدين، وعلى مستوى السفارات في 1965/5/12م. وتم تعيين أشر بن ناتان Asher Ben Nathan، أول سفير إسرائيلي في بون، وكان يعمل مديرًا في وزارة الدفاع الإسرائيلية، وساهم في المحادثات العسكرية السرية بين ألمانيا وإسرائيل التي سبقت الاعتراف الرسمي. وبالمقابل، عُيّن السفير الألماني رولف باول Rolf Paul في تل أبيب، وقدّم أوراق اعتماده بتاريخ 1965/8/19م، الذي واجه أجواء الاحتجاجات الصاخبة من قبل مجموعات متطرفة، وهدفت من ذلك إرهاب السفير الألماني من بداية عمله (Dokument Nr. 74. Diplomatische Beziehungen mit Israel, in: Aussenpoditik der Bundesrepublik Deutschland 1949-1994, 1995, 292-293; Weingardt, 1997, 55).

وقيّم رئيس وزراء إسرائيل ديفيد بن غوريون هذه الخطوة بأنها مهمة جدًا لدولة إسرائيل في المجال الاقتصادي، والعسكري، والسياسي، وكانت إسرائيل بحاجة لألمانيا والعلاقات الدبلوماسية، والأموال الألمانية.

"Israel needed Germany and needed diplomatic recognition ... Money was more important to us then than diplomatic relation" (Ben Gorion, nach Feldmann, 179).

وبناءً على هذه التطورات بين ألمانيا الاتحادية وإسرائيل، واجهت الحكومة الألمانية ردة الفعل العربية، تلك التي تحددت في قطع العلاقات الدبلوماسية مع ألمانيا فقط. ولذلك، لم تؤثر على المصالح الاقتصادية الألمانية، وكذلك لم يوافق على قطع العلاقات الدبلوماسية سوى عشر دول من ثلاث عشرة دولة، بحيث حافظت ليبيا والمغرب وتونس على علاقاتها الطبيعية مع ألمانيا. ولم تفكر القيادات العربية في التوجه إلى الاعتراف بجمهورية ألمانيا الديمقراطية، وحافظوا على مبدأ أن ألمانيا الاتحادية هي الممثل للأمة الألمانية، ويسجل تاريخيًا هذا الموقف المبدأي احترامًا للوحدة الألمانية.

وفي 1965/5/13م، قررت الحكومة الأردنية برئاسة وصفي التل قطع العلاقات الدبلوماسية مع جمهورية ألمانيا الاتحادية، من خلال وثيقة وزارة الخارجية التي أرسلتها السفارة الألمانية، واعتمدت بناء على قرار الاعتراف الألماني بإسرائيل سببًا مباشرًا لهذه الخطوة، تنفيذًا لما قرره وزراء خارجية الدول العربية، واعترفت الحكومة بأن السفارة الإسبانية تولت مسؤولية رعاية المصالح الأردنية في ألمانيا الاتحادية (PAAA. 92.22.82.01 von 13.5.1965 Fiche 246-1). ونيابة عن الحكومة الألمانية، أكد القائم بالأعمال أرفين روت Erwin Roth على أهمية الأردن، وتقديرًا لمحبة الشعب الأردني لألمانيا في رسالته بتاريخ 1965/5/13م، جاء فيها: "**استمرار احترام وتقدير المؤسسات والوزارات والناس الأردنيين لألمانيا والشعب الألماني، حتى أنه أصبح يُستقبل في كل الدوائر، بما فيها القصر، وفي أي وقت يشاء**" (PAAA. Band 246 Fiche 146-3). وأصبحت المفوضية الألمانية تحت حماية السفارة الفرنسية.

وقيّم بنفس السياق الملك حسين في مؤتمره الصحفي، الذي عقده خلال زيارته إلى لندن بتاريخ 1965/7/24م، بأن سبب قطع العلاقات الدبلوماسية مع ألمانيا الاتحادية، هو الالتزام بقرار الجامعة العربية، الذي جاء بناء على استمرار ألمانيا الاتحادية بشحن صفقات الأسلحة إلى إسرائيل. وأكد الملك حسين على: "أن لا ننسى علاقات الصداقة التقليدية التي تربط الشعب الألماني مع العرب، ولدي الأمل شخصيًا بأن هذه الروابط سوف تتحسن"

(PAAA. Fiche 246-2). وعبّر بشكل واضح وصريح بأنه لا يفكر بالاعتراف بجمهورية ألمانيا الديمقراطية، ولخص موقفه على أساس أنه ردة فعل على تصرف السياسة الألمانية فقط.

وفضل الحسين الاصطفاف القومي إلى جانب الدول العربية المؤثرة على الأردن في مجال السياسة والاقتصاد، مثل مصر بزعامة جمال عبد الناصر، والمملكة العربية السعودية بزعامة الملك فيصل، والعراق الذي كان الأقرب إلى السياسة المصرية، وتمّ تنفيذ قرار الجامعة العربية الذي أقرّ العلاقات الدبلوماسية مع ألمانيا الاتحادية فقط، ولم يؤثر هذا القرار على ألمانيا الاتحادية ما لم يمس الاعتراف بألمانيا الديمقراطية، وبناءً على هذا الموقف لم تتأثر العلاقات الألمانية الإسرائيلية السياسية والعسكرية والاقتصادية، بل على العكس، تجرأت السياسة الألمانية ودون أي اعتبار للموقف العربي للتوسع في إرسال شحنات الأسلحة كما طلبتها حكومة إسرائيل. ويدل الموقف العربي على ردود الفعل السريعة وغير المدروسة.

النتائج

لقد أثبتت هذه الدراسة الدور الريادي للملك حسين في وضع حجر الأساس لعلاقات سياسية واقتصادية مع جمهورية ألمانيا الاتحادية منذ استلامه السلطة عام 1953م، وبدأت بنشاط الدبلوماسية الألمانية من سفارتها في بغداد، التي تولت الإشراف على النشاط الدبلوماسي الألماني في الأردن.

وبنفس الفترة، لم يكن بمقدور الدولة الأردنية فتح مفوضية دبلوماسية أردنية في بون؛ لعدم توفر الميزانية لتغطية النفقات. وبعد تعريب قيادة الجيش العربي، انفصلت المفوضية الألمانية عن السفارة الألمانية في بغداد، وأصبحت مرتبطة مباشرة مع وزارة الخارجية الألمانية في بون، وتمكنت الدولة الأردنية من تأسيس أول بعثة دبلوماسية، عندما عُيّن الدبلوماسي الأردني فرحان شبيلات رئيسًا لها.

وبنفس السياق، بدأت الحركة التجارية من ألمانيا إلى الأردن باتجاه واحد؛ لضعف الانتاج الاقتصادي الأردني، باستثناء المحاصيل الزراعية وأهمها زيت الزيتون. ونجحت سياسة الملك حسين في خلق قاعدة احترام الدور الأردني، ومساهمته في استيعاب اللاجئين الفلسطينيين في الضفة الغربية والضفة الشرقية، وتوفير الحياة الكريمة لهم، والرعاية الصحية والتعليمية، واستيعابهم في سوق العمل بقدر المتوفر.

وساهمت مبادرات الملك حسين في دعم المشاريع الاقتصادية، التي تقدمها الدول الأوروبية بعد إلغاء المعاهدة الأردنية البريطانية عام 1957م، وتقدمت الشركات الألمانية بمساهمة فعّالة في توسيع ميناء العقبة، المنفذ البحري الوحيد للدولة الأردنية. وبنفس السياق، لم تنجح الشركات الألمانية في منافسة الشركات الهولندية بإنشاء مصفاة البترول الأردنية عام 1959م.

وفي مجال الزيارات، حظي طلب الملك حسين بزيارة ألمانيا زيارة خاصة في شهر تشرين ثاني 1959م، وقابل رئيس الجمهورية، والمستشار أديناور، ووزير الخارجية، وزار برلين، والتقى بعمدة برلين زعيم الحزب الاشتراكي الديمقراطي فيلي براندت. ومن خلال التغطية الإعلامية للصحافة الألمانية للزيارة الخاصة، أشهرت الأردن، ودوره، وصداقته لألمانيا ودول المعسكر الغربي. وبعد تأسيس معهد غوته Goethe Institut في عمان تعمقت العلاقات الثقافية، وساهم المعهد في توفير فرص تعلم اللغة الألمانية للأردنيين، وتعريف الأردنيين بالحياة الثقافية الألمانية.

وفي مضمار الزيارات، جاءت الزيارة الأولى الرسمية للملك حسين في عام 1964م، والتي تكللت بالنجاح، وتوسيع العلاقات التجارية والمشاريع الألمانية في مساعدة الأردن في قضايا المياه، والتعليم المهني. وكذلك، المشاريع الخيرية الإنسانية، مثل: مدارس الأيتام للذكور والإناث في الضفة الغربية.
وفي خضم الصراع العربي الصهيوني، انكشفت للعيان مساعدات ألمانيا الاتحادية الاقتصادية والمالية، والصفقات العسكرية حسبما طلبت الحكومة الإسرائيلية. وبناءً على ذلك، أقرت دول الجامعة العربية قطع العلاقات الدبلوماسية مع ألمانيا الاتحادية، ثاني يوم من الاعتراف الألماني بدولة إسرائيل؛ أي بتاريخ 1965/5/13م، في عهد حكومة وصفي التل.

References

Archiv der Gegenwart, Bonn, 1951-1965.

Deutsch – jordanische Gesellschaft e.v. Bonn, 1968.

Aussenpolitik der Bundesrepublik Deutschland, Dokumente von 1949 bis 1994, Koeln, 1995.

Statistisches Jahrbuch, Statistisches Bundesamt, Wiesbaden, 1956-1987.

Jordanian Statistic Yearbook 1953-1965. السنوية الإحصائية النشرة عمّان، العامة، الإحصاءات دائرة

Al Tall, Wasfi, Ketabat fi al qathaya al qawmiyah, Amman, 1980.

Presse-und Informationsamt der Bundesregierung.

Bonn, Welckerstrasse 11.

Yeshayahu A. Jelink (Hrsg) Zwischen Moral und Realpolitik, Deutsche – israelische Beziehungen 1945-1965. Eine

Dokumentensammlung. Gerlingen 1977.

Al Shannag, Abdelmajeed, History of the Establishment of the Federal Republic of Germany, Dirasat, Human and Social Sciences, Univ. of Jordan, Volum 23, Nr. 6, 1995.

Al Shannag, Abdelmajeed, Foreign Policy of Chancellor Konrad Adenauer 1949-1955, Dirasat, Human and Social Sciences, Univ. of Jordan, Volum 23, Nr. 2, 1996.

Al Shannag, Abdelmajeed, The Political Relations between the Federal Republic of Germany and the Hashemite Kingdom of Jordan during the Period 1949-1955, Dirasat, Human and Social Sciences, Univ. of Jordan, Volum 24, Nr. 1, 1997.

Al Shannag, Abdelmajeed, Reconcilation Agreement between the German and Israrli Governments on 10/9/1952, Dirasat, Human and Social Sciences, Univ. of Jordan, Volum 32, Nr. 3.

Bahadir, Sefik Alp, Wirtschaftbeziehungen zwischen der Bundesrepublik Deutschland und dem Haschemitischen Koenigreich Jordanien, in: Shanneik, Ghazi, (Hrsg), Bonn, 1999.

Feldmann, Lily Gardner, The Special Relationship between West Germany and Israel, Boston, 1984.

Haas, Marius, Husseins Koenigreich. Jordanies Stellung im Nahen Ostens, Muenchen 1975.

Hadawi, Sami, Bitter Harvest, Palestine between 1914-1979, New York, 1979.

Haftendorn, Helga, 1971, Militaerhilfe und Ruestungsexporte der BRD, Duesseldorf.

Haftendorn, Helga, Militaerhilfe und Ruestungsexporte der Bundesrepublik Deutschland, Duesseldorf, 1971.

Huenseler, Peter, 1990, Die aussenpolitischen Beziehungen der Bundesrepublik Deutschland zu den arabischen Staaten von 1949-1980, Frankfurt a M.

Mahafzah, Ali, Geschichte der jordanisch – deutschen Beziehungen, in: Shanneik, Ghazi, (Hrsg), Bonn, 1999.

Masarwah, Ali, Die deutsch – jordanischen Beziehungen in den 90er Jahren: Die Politische Demension, in: Shanneik, Ghazi, (Hrsg), Die Beziehungen zwischen der Bundesrepublik Deutschland und dem Haschemitischen Koenigreich Jordanien. Bonn, 1999.

Scheffler, Thomas, 1993, The Power of Dependence: The Federalrepublic of Germany and the Arab World in: Journal of Arab Affairs, 12, 2, Frenso, California, U.S.A.

Schliephake, Konrad, Tourismus in Jordanien – die deutschen Reisenden, in: Shanneik, Ghazi, (Hrsg), Bonn, 1999.

Weingardt, Markus A, Deutsch – israelische Beziehungen, Konstanz, 1997.

الجرائد

Zeitungen

Al Defaa'

Falastin

Al Jehad

Berliner Morgenpost

Die Welt

Frankfurter Allgemeine Zeitung

Neue Zuercher Zeitung

Sueddeutsche Zeitung

Telegraph